خطبة جمعة

بعنوان

لن تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

رفحاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

أما بعد

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس :

اتقوا ربكم ، واعلموا أنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلاً ، وسوف يسأل ربكم

عن أَبي برزة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبلاهُ؟) رواه الترمذي .

ففي هذا الحديث :

دليل على إثبات الحساب يوم القيامة ، وأن الإنسان ينبغي له أن يحاسب نفسه في الدنيا قبل حساب الآخرة ، فإنه من حاسب نفسه اليوم هان عليه الحساب غدًا .

قال الله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم .

وقال عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وَزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : إن المؤمن قوَّام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

واعلموا : أن الإنسان سوف يسأل عن عمره فيم أفناه كما في هذا الحديث

فيجب على الإنسان أن يستغل هذا العمر بطاعة الله وما يقربه إلى الله قبل الموت .

واعلم أن الإنسان في موضعين يتمنى الرجعة للدنيا ليعمل صالحا .

الموضع الأول : عند الاحتضار.

قال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ...).

يتمنى إذا احتضر وجاءت سكرة الموت، وجاء الموت، يتمنى أن يرجع ويعمل الأعمال الصالحة.

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).

الموضع الثاني : الكفار في النار .

قال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ. وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ. فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ).

إن كثيراً من الناس لم يعتبروا وقد أُمهلوا من أعمارهم سنين، ولم يستجيبوا لصوت النذارة وقد صاح بهم في كل حين، فعند ورود الآخرة سيسمعون هذا العتاب المخزي، ويذوقون مرارة العذاب المردي: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) .

وإذا مد للإنسان في العمر فقد اتسعت دائرة زوال العذر عنه، فلا يبقى له احتجاج بقصر الزمان، وسرعة تقضي الأوان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال (أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً) رواه البخاري .

وعند أحمد (لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَى عَبْدٍ فِي الْعُمُرِ أَحْيَاهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً) .

قال النووي: قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المدَّةَ.

وقال الحافظ ابن حجر: الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به. يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية.

ومما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به .

وهذا يدل على أن المراد من العلم العمل به ، فالغاية من تعلم العلم هي العمل به؛ لذا رفع الله تعالى درجة العلماء على غيرهم، فقال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات) .

وهم أهل الخشية؛ كما قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) .

واعلم أنه لا خير في علم لا يقترن بعمل مخلص متابع للرسول – صلى الله عليه وسلم – في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وسائر شئون حياته وذلك بأن يؤدي حق الله وحق العبيد.

واعلم أن العلم إن وجد لنفسه داراً مكث وإلا رحل عنك، ودار العلم العمل، والعلم لا يثبت إلا بالعمل.

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل) ذكره الخطيب.

وقد ذم الله اليهود لأنهم لم يعملوا بعلمهم وشبههم بالحمار يحمل أسفاراً.

قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً).

قال ابن كثير: يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل ثم لم يعملوا بها: مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوه.

ومن لم يعمل بعلمه فإنه سيكون حجة عليه.

كما جاء في الحديث (لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع وذكر منها .. وعن علمه ماذا عمل به).
وقال بعض السلف (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى... أَمَّا بَعْدُ:

عباد الله :

اعلموا أن الغاية من العلم العمل به وخشية الله .

والذي يعمل بعلمه يثبت علمه.

قال بعض السلف: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

وهناك نماذج مشرقة في تطبيق العلم بالعمل:

أ-عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ عن أبيه: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً).

ب- ولما علم النبي – صلى الله عليه وسلم – علياً وفاطمة: أن يسبحا ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين وقال: (فهو خير لكما من خادم) قال علي – رضي الله عنه –: ما تركته منذ سمعته من النبي – صلى الله عليه وسلم –، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. رواه مسلم

ج-وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ثلاث ليال، إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه، قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال ذلك، إلا وعندي وصيتي) رواه مسلم.

د-وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من قرأ آية الكرسي عقيب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت). رواه النسائي

قال ابن القيم: بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه.

أما تعلُّمه لغير هذا الغرض فإنه يصير وبالاً على صاحبه يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرَضًا من الدنيا – لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة))، يعني: ريحها؛ رواه أحمد .

وقد جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع.

ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ وفي بعضها (ومن دعاء لا يسمع).

وفي بعضها (أعوذ بك من هؤلاء الأربع).

وخرج النسائي من حديث جابر أن النبي -ﷺ كان يقول (اللهم إني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع).
وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً).
وخرج النسائي من حديث أنس (أن النبي ﷺ كان يدعو: اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علماً تنفعني به).
والحديث أيضاً يدل على أن الإنسان سوف يسأل عن ماله مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟
من أين اكتسبها : أمِن حَلالٍ أم مِن حَرامٍ؟
وفيمَ أنفَقَها : أفي طاعةٍ أم في مَعصيةٍ؟
فعلى الإنسان أن يحرص على أن يكون ماله حلالاً وأن ينفقه في وجوه الخير .
فإن المال وديعة من الله للعبد، والله يعطي العبد بقدر حتى يعيش بسلام ولا يبغِ في الأرض .
قال تعالى (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) .
وأعطاه المال وقيّده بضوابط شرعية فليس له أن يخبط في ماله بغير حق، قال -سبحانه- في صفة عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
فمن عقوبات أكل الحرام :
عدم قبول دعائه .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناسُ، إن الله طيّبٌ لا يقبَلُ إلا طيبًا، وإن الله أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين، فقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم) وَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم) ثم ذكر الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ، يمُدُّ يديه إلى السماءِ: يا رب، يا رب، ومطعمُه حرامٌ، ومَشرَبُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجَابُ لذلك؟) .
محق البركة:
قال الله تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم) .
قال العلماء: يمحق الربا؛ أي: يُذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (ما أحدٌ أكثرَ من الربا إلا كان عاقبَةُ أمرِه إلى قِلَّة) .
العذاب في الآخرة:
عن خولَةَ الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول (إن رجالًا يتخوَّضون في مالِ الله بغيرِ حقٍّ، فلهم النارُ يومَ القيامة).
ومما يُلاحَظُ: تساهل كثيرٍ من الناس في أكل المال الحرام .
وذلك مصداقًا لقول النبيّ ﷺ (ليأتينَّ على الناس زمانٌ، لا يبالي المرءُ بما أخذَ المالَ: أمِنَ الحلال أم من الحرام) .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المفلحين الفائزين، وأن يوفقنا لما فيه خير لنا في ديننا ودنيانا، وأن يعيذنا ويحفظنا من الكسل وعواقبه ونتائجه.
اللهمَّ اجعلْنَا مِن أوليائِكَ المتقينَ، ومِن جُندِكَ الغَالبينَ ومِنَ السَّابقينَ المقرَّبينَ.

اللهمَّ اجعلْنا مِنَ السعداءِ في الدنيا والمفلحينَ في الآخرةِ، اللهم اجعلنا من عِبادِكَ الصالحينَ المفلحينَ البارّينَ المنعَمِينَ المسرورينَ المطمئنينَ الآمِنِينَ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنونَ.

هذا وصلوا على النبي الكريم ﷺ كما أمركم بهذا فقال سبحانه (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ...

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين .
اللهم اغفر لوالدينا ولجميع المسلمين .
اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه .